أثر التقديم والتأخير في النص القرآني ((سورة يونس انموذجاً))

"أ.م.د.أحمد بطل وسيج الموسوي "
"Ahmed Batal Wasseg "

قسم اللغة العربية/كلية التربية /الجامعة المستنصرية
dr.hhahmed456@gmail.com

الخلاصة

يُعَدُّ النص القرآني من أبرز النصوص المثمرة إن لم نقل أكثرها ثمراً فهو منذ أن نزل على النبي محمد (ص) إلى اليوم يمثل الباعث الأبرز للعلوم بكل مجالاتها بشكل عام ولعلوم العربية بشكل خاص.

من هذا المنطلق كانت الرغبة في كتابة بحث عن موضوع (التقديم والتأخير في سورة يونس) المباركة لما يمثله هذا الموضوع من أهمية لارتباطه بأكثر من علم من علوم اللغة العربية ولاسيما البلاغة والنحو .

وبعد أن ثبت أسلوب(التقديم والتأخير) بحثت عن ما فيه فقررت أن أدرس اثر هذا الأسلوب في النص القرآني فكان بحثي بعنوان (أثر التقديم والتأخير في النص القرآني- سورة يونس أنموذجاً-).

وقد اخترت هذه السورة لقلة الدراسات التي درستها، فضلاً عن تضمنها لشواهد كافية للدراسة.

قسمت بحثي على تمهيد ومبحثين جاء التمهيد تحت عنوان (مدخل نظري) تناولت فيه (التعريف، الأهمية، الأسباب) بمعنى التعريف بالتقديم والتأخير وأهميته عند علماء اللغة العربية وكذلك وقفت عند أسباب مجيئه في الكلام .

أما المبحث الأول فقد جاء تحت عنوان (التقديم والتأخير في الجمل الفعلية) وعرضت فيه معظم الآيات التي وردت في هذا العنوان محاولاً الكشف عن الأثر الذي تركته جملة التقديم والتأخير في النص الذي وردت فيه وقد تكرر هذا المنهج على ايات المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان (التقديم والتأخير في الجمل الاسمية).

توصل البحث الى نتائج عديدة منها :

١-تنوعت جمل التقديم والتأخير في الجمل الفعلية فكانت على أنواع منها (تقديم الجار والمجرور على المفعول به، تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل، تقديم الجار والمجرور على الفاعل ، تقديم الجار والمجرور على الجار والمجرور) وغيرها.

٢-جاءت معظم ايات التقديم والتأخير في الجمل الاسمية في جملة المبتدأ والخبر أو ما اصلها مبتدأ وخبر وقد التقت هذه الجمل في معظم الاحيان مع اسلوب القصر المعنوي القائم على التقديم والتأخير.

٣-كان لجملة التقديم والتأخير الأثر الفعّال في بيان دلالة الايات التي تضنت هذا الأسلوب وذلك من خلال ارتباطها بشكل معنوي وسياقي مع بداية الاية ونهايتها كما بيّنا في تحليل الايات.

٤-تضمنت ايات الجمل الفعلية الكثير من الاساليب البلاغية التي اشتركت مع أثر التقديم والتأخير من اجل اخراج الدلالة المطلوبة فقد وجدنا التقاء التقديم والتأخير في هذه الايات مع اساليب (الانشاء-الامر- النهي-الاستفهام) في دلالات مجازية متنوعة فضلاً عن الاساليب الاخرى مثل (الفصل بانواع متعددة، الخبر بانواع متعددة) وكذلك فنّي (المجاز العقلي والطباق) .

٥-تضمنت ايات الجمل الاسمية الكثير من الاساليب البلاغية التي تعاونت مع أثر التقديم والتأخير من أجل اخراج ظهور دلالة النص في أبهى صورة فقد وجدنا اثر التقديم والتأخير قد اشترك مع اسلوبي (الامر، الاستفهام) من خلال بعض اغراضهما المجازية وكذلك مع (اسلوب القصر) من خلال طريقة (إن-الا).

عنوان البحث : أثر التقديم والتأخير في النص القراني (سورة يونس انموذجا)
اسم الباحث : أ.م.د. أحمد بطل وسيج
اللقب العلمي : أستاذ مساعد
العنوان : الجامعة المستنصرية/كلية التربية/ قسم اللغة العربية.
رقم الموبايل: ٠٧٧١٤٢٧١١٣٣
البريد الالكتروني :
dr.hhahmed456@gmail.com

المحور : الأدب (البلاغة).

Conclusion

The Qur'an text is one of the most fruitful texts, if we do not convey the most fruitful of it, since it was revealed to the Prophet Muhammad (PBUH) to this day it represents the most prominent .inspiration for science in all its fields in general and for Arabic sciences in particular

From this standpoint, the desire to write a paper on the subject of (introduction and delay in Surat Yunus) was blessed because the topic of introduction and delay represents the importance of it being related to more than one science of the Arabic language, especially rhetoric and .grammar

After establishing the method (introduction and delay), I searched for what was in it and decided to study the effect of this method in the Qur'anic text. My research was entitled "The effect of .(- introduction and delay in the Qur'an text - Surat Yunus as a model

I chose this surah due to the lack of special studies that I studied, in addition to its inclusion of .evidence from research study

I divided my research into an introduction and two studies. The preface came under the title (theoretical approach) in which I dealt with (definition, importance, reasons) in the sense of definition of presentation and delay and its importance for Arabic language scholars, as well as I .stood at the reasons for his coming in speech

As for the first topic, it came under the title (introduction and delay in verbal sentences) and most of the verses mentioned in this title were presented in an attempt to uncover the effect that the sentence of introduction and delay left in the text in which it was mentioned. This approach has been repeated on the verses of the second topic that came under the title (Presentation and .delay in noun sentences)

:The research reached many results, including

١- Presentation and delay sentences varied in verbal sentences, so there were different types of them (introducing the neighbor and the traumatized to the object, the introduction of the neighbor and the traitor to the action and the subject, the introduction of the neighbor and the traitor to the subject, the introduction of the neighbor and the neighbor to the neighbor) and .others

٢- Most of the verses of introduction and delay came in the nominal sentences in the sentence of the subject and the predicate, or the original thereof, a subject and a predicate, and these sentences met in most of the time with the style of moral shortening based on introduction and .delay

٣- The phrase "introduction and delay" had an effective effect in explaining the significance of the verses that included this method, through its link in a moral and contextual manner with the .beginning and end of the verse, as we showed in the analysis of the verses

٤- The verbal verses included many rhetorical styles that were involved with the effect of introduction and delay in order to produce the required significance. We found the convergence of introduction and delay in these verses with the methods of (creation-order-forbidden-question)

in various metaphorical connotations as well as other methods such as (Separation by multiple genres, news of various types) as well as artistic (metaphor of mental and counterintuitive).

٥- The verses of the nominal sentences included many rhetorical methods that cooperated with the effect of introduction and delay in order to bring out the appearance of the semantics of the text in the most beautiful way. Through the (en-la) tool.

Research title: The effact of Introduction and Delay on the Qur'anic Text (Surat Yunus as a model)

Researcher Name: Prof. Ahmed is a hero and Sage

Scientific title: Assistant Professor

Address: Al-Mustansiriya University / College of Education / Department of Arabic Language.

Mobile number: 07714271133

E-mail :

dr.hhahmed456@gmail.com

Axis: Literature (Rhetoric).

التمهيد

التقديم والـتأخير (التعريف، الأهميّة، والأسباب)

الكلام لا يمكن أن يُنطَق به بلحظة واحدة وكذلك لا يمكن كتابته من دون تسلسل ترتيبي، وهذا التسلسل يتبع أولاً الحكم الإعرابي الترتيبي للجملة لكنه يخرج في أحيان كثيرة عن هذا الحكم بفعل غايات جمالية أو دلالية يقصدها المتلقي من أجل أن تكون أكثر تأثيراً في المتلقي وشدّه إلى التأثر في النص.

فالتقديم من ((أقْدَمَ بمعنى تقدّم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والإقدام في الحرب)) [١] والتقديم من ((قدّم)) أي وضع الشيء أمام غيره وعكسه يكون التأخير أي تأخير الشيء عن غيره [٢] .

يقول عنه الجرجاني في دلائله: ((هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولايزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك الى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان الى مكان))[٣]

وتقديم الشيء يكون على قسمين كما ذكره معظم البلاغيين: تقديم على نيّة التأخير وتقديم ليس كذلك [٤] .

((أما الأول: كتقديم المفعول على الفعل، والخبر على المبتدأ؛ فإذا قلت : في الكتاب فوائد .فإن قولك :في الكتاب، خبر مقدم، وإذا قلت: درهماً أنفقت فإن (درهما) ؛مفعول به، فهما – وإن تقدما في الكلام- لكن رتبتهما التأخير.

أما القسم الثاني: وهو تقديم ما ليس على نية التأخير، فكقولك: أحمد أخوك فـ(أحمد) مبتدأ، و (أخوك) خبر، ويجوز أن تقول : أخوك أحمد . فيكون (أخوك) مبتدأ، و(أحمد) خبر)) [٥] .

ونظراً لأهمية موضوع التقديم والتأخير فقد درسه معظم علماء العربية من نحويين وبلاغيين ومفسرين وغيرهم؛ لما لهذا الموضوع من أثر في فهم النصوص ولاسيما النص القرآني.

فقد درسه الفراهيدي وسيبويه وأبو عبيدة والفراء وابن قتيبة والمبرد واسحاق بن ابراهيم وابن جني ودرسه أصحاب الإعجاز ك(الرماني، والباقلاني) ودرسه الجرجاني والزمخشري وابن الأثير وابن الزملكاني والسكاكي والقزويني[٦] .
وهنالك أسباب كثيرة للتقديم والتأخير فقد درست احياناً مجتمعة ما بين المسند اليه والمسند ومتعلقات الفعل وأحيانا بشكل مستقل .
فقد درست بشكل عام عند (الرازي وابن الزملكاني والعلوي والسيوطي) وغيرهم وقد حصروا التقديم بـ (تقدّم العلة على المعلول، وتقدم بالشرف الانبياء على الاتباع، وتقدم بالرتبة الإمام على المأموم، وتقدم بالذات الواحد على الاثنين، تقدم بالزمان الأبعد من الآن مع الأقرب اليه) وغيرها [٧] .
وقد درست بشكل مستقل وحصر تقديم المسند اليه عند (القزويني ، وعباس) وغيرهما بـ (التخصيص أو تقوية الحكم وتقريره، وتعجيل المسرّة ، والتفاؤل، وإفادة العموم، والتشويق، وإفادة التخصيص) وغيرها[٨] .
وحصر تقديم المسند عند (القزويني وعباس) كذلك بـ (تخصيص المسند بالمسند إليه، التنبيه على الخبرية، التشويق، التفاؤل)[٩] وغيرها .
أما متعلقات الفعل من مفعول به وجار ومجرور وحال وغيرها فقد بحثت في الإيضاح والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ومعجم المصطلحات البلاغية وغيرها وقد حصرت بـ(العناية بالأهم، والاهتمام بالمقدم، وضرورة الشعر، رعاية الفاصلة) [١٠]وغيرها.
بعد بيان التقديم والتأخير وأهميته وأسبابه نقول ورد هذا الموضوع في القرآن الكريم حاله حال معظم فنون العربية بشكل عام والبلاغية بشكل خاص وقد تضمن غايات دلالية معنوية جاء بها القرآن الكريم من أجل شد المتلقي والـتأثير والمساهمة في إقناعه من خلال الأحكام الشرعية والثواب والجزاء وقصص الانبياء والمرسلين، فضلاً عن دعوة النبي (ص) من هنا سنعرض لآيات سورة يونس وما تضمنته من قيم جمالية ودلالية قد اثرت في النص القرآني من خلال اسلوب (التقديم والتأخير).

المبحث الأول
التقديم والتأخير في الجمل الفعلية

ورد التقديم والتأخير في سورة يونس بشكل كبير جداً ولاسيما في الجمل الفعلية وهذه الكثرة بأشكال متعددة منها(تقديم الجار والمجرور على المفعول، وتقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل، وتقديم الجار والمجرور على الفاعل ، وتقديم الجار والمجرور على الجار والمجرور).
وسنفصل هذه المواضع وأثرها في النص القرآني :
١-تقديم الجار والمجرور على المفعول به
كُثر هذا التقديم بشكل كبير حيث ورد في أكثر من ثلاثة عشر موضعاً في سورة يونس المباركة .
أ-قال تعالى : ((قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ *فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ))[١١] .
تضمن النص القرآني تقديمين أحدهما تقديم الجار والمجرور (فيكم) على المفعول به (عُمُراً) والآخر تقديم الجار والمجرور (على الله) على المفعول به (كذباً).
وقد ورد هذا التقديم في سياق الخطاب الذي ابتدأ بأسلوب الأمر (قل).
وهذا الأمر موجهاً الى النبي محمد (ص) وقد ربط قول النبي لهم بإرادة الله ((لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله عليّ)) [١٢] فضلاً عن عدم إعلامكم به ولا يقرؤه النبي عليكم ودليل هذا أنَّ النبي قد مكث فيهم دهراً طويلاً ولم يدّعِ إنزال القرآن عليه إلّا بعد أن أكرمه الله بالقرآن[١٣] .
وجملة التقديم والتأخير(فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) ودليل الآية كلّه قد بُني على هذه الجملة فقد أكد الرسول كلامه الذي احتج به عليهم بالمؤكد (قد) ثم قدّم (فيكم) على (عمراً)؛ لان النبي كان في مجال ردّ ادعائهم بأن النبي قد جاء بالقرآن وأراد القول لهم: إنّي لبثت فيكم فاعتنى وركّز على مكان اللبث وليس على زمانه (عمراً) فالمكان أهم؛ لأنه كان بينهم وهم يعرفونه حقاً ولم يخرج منه هذا الادعاء قبل نبوته فضلاً عن كون حجة المكان أقوى من حجة الزمان في هذا الموضع والنبي استخدم الحجاج المكاني وقدمه على الحجاج الزمني لغاية معرفتهم به كي يرد ادعائهم عليهم .
فضلاً عن ذلك ذُيلت هذه الجملة بأسلوب الاستفهام (أفلا تعقلون) وقد خرج للإنكار التوبيخي بأنكم لو كنتم عقلاء لما افتريتم عليّ بأنني قد ادّعيته وأني قد لبثت فيكم قبله ولم ادعه والتوبيخ هنا على عمل فعلوه من خلال دعواتهم الكاذبة على النبي (ص).
بعد ذلك جاءت الآية الثانية لتصف المفترين على الله في صفات الشرك والكذب وغيرها [١٤] ، فهؤلاء قد ظلموا أنفسهم .
ثم جاء موضع التقديم والتأخير الثاني كي يكون مثالا لظلمهم لأنفسهم وتمثل بتقديم الجار والمجرور (على الله) على المفعول به (كذباً) تقدم الجار والمجرور هنا من أجل الاهتمام والرعاية بمن افتري عليه وهو الله وهو أعظم كل شيء وقد تآخر الكذب؛ لأنه يحتل المرتبة الثانية في المعنى وإن كان في الإعراب هو الأول؛ لأن الكذب ليس مهماً بل المهم هو على من يكون الافتراء بالكذب(على الله) وهذا يمثل بؤرة النص في هذه الآية والآية السابقة التي تقدمت في هذا الموضع .
وذيلت الآية بنتيجة هؤلاء المفترين من خلال التأكيد بـ (إنّ) والنفي بـ (لا) فقد أكدت عدم فلاحهم.

والمتتبع للنص المذكور يرى أن تقديم (فيكم) على (عمراً) كان لرد شبهة وعناية بمكان الشبهة لا بزمانها؛ لأن الحجة في المكان وتقديم (على الله) على (كذباً) كان للعناية على من افترى وليس ماذا افترى فالحجة هنا بالخالق وليس بالمخلوق ولاشك في أهمية الأول على الثاني.

لذلك نلحظ أن التقديم والتأخير قد أثبت المعنى المراد في النص المذكور وجعله أكثر تأثيراً في المتلقي من خلال تفنيد ما طرح من شبهات وافتراءات .

ب- قال تعالى : ((قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ))[١٥] .

بدأ النص القرآني بأسلوب الأمر (قل) الموجّه من الله الى النبي (ص) كي يبلغه للكافرين ثم استفهم للتقرير (أرأيتم) بمعنى يريد أن يقرر ما في داخلهم بأن الرزق بشكله المطلق من الله.

ثم جاء أسلوب التقديم والتأخير من خلال تقديم (منه) على (حراماً وحلالاً) المفعول به والمعطوف عليه بمعنى أن الرزق حلال لكنكم ((جعلتم بعضه حراماً وبعضه حلالاً)) [١٦] .

وغاية تقديم (منه) الإشارة إلى قولهم في الرزق والأهمية تنعكس عليهم وعلى أفعالهم فهم الذين قالوا وجعلوا منه حراماً وحلالاً .

فضلاً عن ذلك فقد ارتبط هذا التقديم بالجملة السابقة (ما أنزل الله لكم من رزق) فقد قدّم (لكم) على (من رزق)وكلاهما جار ومجرور؛ لأن الاستفهام التقريري المتقدم كان يريد العناية على من أنزل الله ثم ذكر الرزق فالنزول من الله إليهم أهم من الرزق في التقديم والتأخير في تقديم (لكم) على (من رزق).

كما بدأت الآية بأمر واستفهام اختمت بأمر واستفهام فالأمر الثاني (قل) جاء كي يكرر النبي القول لهم لكن هذه المرة باستفهام آخر هو متصل من حيث المعنى بالاستفهام الذي ذكر في بداية الآية والاستفهام الثاني هو ((أخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تكذبون على الله بنسبة ذلك اليه. ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار، وأم منقطعة بمعنى : بل أتفترون على الله، تقريراً للافتراء)) [١٧].

فالإنكار هو الأساس في الاستفهام الأخير وهو إنكار توبيخي وتوبيخه قد كُتب في جملة التقديم والتأخير (جعلتم منه حراماً وحلالاً) فهذا يُعد مقدمة للإنكار؛ لأنهم هم من جعلوا الرزق حراماً وحلالاً بعد ان اشار النص أنّ نزوله من الله وعندما تكون (أم) منقطعة فإنها قد أكدت قولهم وإنكار قولهم .

نلحظ مما تقدم أنّ جملة التقديم والتأخير الرئيسة(الثانية) كانت الرابطة الأساسية لمعنى النص الذي بدأ بأمر واستفهام عن من أُنزل الرزق وانتهى بأمر واستفهام عن إنكار أن يكون التحليل والتحريم من الله وجملة التقديم الثانية وقعت في الوسط وقدمت (منه) على (حراماً وحلالاً)؛ لأن التركيز كان على تبعيض الرزق من قبلهم بعد أن أنزله الله مطلقاً.

فضلاً عن ذلك فقد سبقت هذه الجملة جملة (أُنزل..) التي قُدِم فيها (لكم) على (من رزق) كي تتماشى مع النص العام الذي كان يركّز على القوم وقولهم بالرزق وتبعيض الرزق.

جـ- قال تعالى ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ))[١٨] .

بدأ النص القرآني بأسلوب الأمر الذي تصدر جملة التقديم والتأخير (اتل عليهم نبأ نوحٍ) فالأمر موجّه من الله الى النبي محمد (ص) كي يقرأ لقومه أخبار نوح (ع).

ومعنى الآية ان نوحاً قد قال لقومه إذا مللتم من إقامتي بينكم فإني سأتوكل على الله كما إني متوكل بكل شيء عليه فأجمعوا أنتم وشركاؤكم على شيء ضدي من خلال الأمر فأجمعوا [١٩] ((وهذا تهديد في صورة الأمر ؛ وقيل معناه اعزموا على أمركم وادعوا شركاءكم))[٢٠] .

فتقديم (عليهم) على (نبأ) أي الجار والمجرور على المفعول به من أجل الرعاية والاهتمام بالقوم الذين تنقل لهم القصة كي يتعظوا من مصير قوم نوح وما آلت اليهم أمورهم بسبب عنادهم في الكفر .

وتضمنت الآية أساليب متعددة منها الأمر (اتلُ ، فأجمعوا، اقضوا) النداء (يا قوم) والمهيمن على هذه الأساليب جملة التقديم والتأخير المتصدرة؛ لأنها كانت بمثابة الحجة والقصة والموعظة والعناية بمن لهم القصة والاعتبار قبل القصة كي لا يستمروا في عنادهم كما استمر قوم نوح بعنادهم.

وأثر التقديم والتأخير قد نبع من دعم حجة الاعتبار من خلال تقديم القوم على القصة (نبأ) التي يجب أن يتعظوا من خلالها .

فضلاً عما تقدّم فقد ورد تقديم الجار والمجرور على المفعول به في مواضع متعددة من سورة يونس المباركة [٢١] .

٢-تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل.

أ-قال تعالى ((وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ *فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))[٢٢] .

يتحدث النص القرآني عن التوكل على الله وقد وقع موضعي التقديم في التوكل على الله وفيه إشارة صريحة لأثر التقديم والتأخير في هذا النص والموضوع الأول تقديم الجار والمجرور (عليه) على الفعل والفاعل (توكّلوا) والثاني تقديم الجار والمجرور (على الله) على الفعل والفاعل(توكلنا).

والخطاب هنا بين موسى وقومه فقد قال لهم موسى: إنكم بعد إيمانكم (عليه توكلوا) وهنا جاء التقديم من أجل الاهتمام بالمقدم الجار والمجرور (فعليه) تدل على الله وهي الأهم من الفعل والفاعل وكذلك من أجل تخصيص التوكل بالله فلو تآخرت عليه لامكن التوكل على الله وعلى غيره وربطت جملة التقديم بداية الآية بنهايتها فقبلها موسى قال لهم إن كنتم آمنتم بعد جملة التقديم قال لهم إن كنتم مسلمين ((ليتبين المعنى بإجماع الصفتين التصديق والانقياد، أي ان كنتم امنتم بالله فاستسلموا لأمره)) [٢٣] فالتقديم والتأخير ربط الإيمان بالإسلام.

وتنقل الآية الآخرى من النص جواب قوم موسى لموسى وتصدر الجواب بعد القول جملة التقديم والـتأخير (على الله توكلنا) من أجل تخصيص التوكل بالله والعناية بالمتوكل عليه وهو الله سبحانه وتعالى ليكون الجواب على مثل أهمية الطلب المتقدم في جملة التقديم الأولى (فعليه توكلوا).

بعدها ختم النص بنهي قد خرج للدعاء؛ لأنه موجه من الأدنى وهم قوم موسى إلى الأعلى وهو الله (ربنا لاتجعلنا...) في إشارة إلى رغبتهم ودعوتهم بأن يديم الله لهم هذه بمعنى إنهم دعوا الله ((لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يجعلنا على إظهار الانصراف عن ديننا)) [٢٤] .

فالنهي الذي خرج للدعاء جاء مرتبطاً مع جملتي التقديم اللتين بُنيتا على الأمر (توكلوا) فبعد ان ردوا امر التوكل وتقديم (عليه) على (توكلوا) من خلال تقديم (على الله) على (توكلنا) فالدعاء جاء ملاماً للسياق الذي جاء فيه الجواب مرتبطاً مع الطلب فضلاً عن نهي الدعاء الذي فيه ارتباط معنوي وروحي مع الله عز وجل.

ب-قال تعالى ((وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))[٢٥]

تتكلم الآية الكريمة عن نعم الله لبني اسرائيل ورزقهم من الطيبات .

بعد ذلك نقلت اختلافهم في تصديق النبي بعد إيمانهم قبل بعثته ، لتختم الآية بخبر مؤكد (إنّ ربّك) والآية تضمنت تقديم الجار والمجرور (فيه) على الفعل والفاعل (يختلفون) وسبقه تقديم الجار والمجرور (بينهم) على ظرف الزمان (يوم القيامة) وكلاهما جاء ضمن جملة الخبر المؤكد .

ففي تقديم (بينهم) على (يوم القيامة) تخصيص وعناية بالذي اختلفوا فالقضاء بينهم لله يوم القيامة وهنا تقديم الافراد على اليوم؛ لأن اليوم زمن وقوع الاختلاف بينهما والأهم هو بين من وقع الخلاف، وفي تقديم (فيه) على (يختلفون) عناية واهتمام بالذي اختلفوا فيه وليس في الاختلاف.

مما تقدم نقول إن التقديم والتأخير هنا قد مسك بنص الآية من خلال وقوعه بنتيجة اختلاف بني اسرائيل وثبتت هذه النتيجة من خلال الخبر المؤكد بـ (إنّ) وكذلك تخصيص يوم القيامة بالقضاء بينهم وتخصيص اختلافهم بما اختلفوا فيه وهذا التخصيص قد أثرى سياق النص من خلال التركيز على بينهم على حساب (يوم القيامة) و (فيه) على حساب (يختلفون).

وهنالك موضع آخر لهذا التقديم يمكن ملاحظته في الآية السادسة والخمسين من سورة يونس المباركة [٢٦] .

٣-تقديم الجار والمجرور على الفاعل.

أ-قال تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ آمنوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ))[٢٧] .

وصفت الآية الكريمة جزاء الذين آمنوا وقد ابتدأ النص بالمؤكد (إنّ) لاثبات ورفع الشك من قلوب السامعين ونقلت الآية كذلك سبب الجزاء (يَهدِيهم ربُّهم بإيمانِهم) بمعنى إن سبب الجزاء هو الإيمان وتمثّل الجزاء في ختام الآية وهو موضع التقديم والتأخير .

والموضع هو (تجري من تحتهم الأنهار) فقد قدّم النص الجار والمجرور (من تحتهم) على الفاعل (الأنهار) والسبب هنا هو العناية والاهتمام بما قُدِم للمؤمنين ووصف خدمتهم بأن الشيء يجري من تحتهم في إشارة إلى إباحته إليهم وقدرتهم عليه، فضلاً عن قربه منهم بعد ذلك تأخرت الأنهار التي اصبحت قريبة لهم وتحت خدمتهم.

فالجزاء احتجّ بـ (من تحتهم) وقدمها على (الانهار)؛ لان النص في سياق التركيز على جزاء المؤمنين والضمير العائد لهم في (تحتهم) بعدها ذكر (الأنهار)

وقد ساهم هذا التقديم في إبراز نص هذه الآية وتثبيت دلالتها الفائقة على بيان جزاء المؤمنين

فضلاً عن ذلك فإن إسناد الجريان للأنهار هو إسناد غير حقيقي؛ لأن الأنهار لا تجري بل الماء يجري فيها وهذا هو نوع من أنواع المجاز العقلي وعلاقته مكانية[٢٨].

وقد ساهم التقديم والتأخير في إبراز صورة هذا المجاز والتأثير بدلالته لأنه كان بمثابة الفاصل بين إسناد (الجريان) والمسند اليه (الأنهار) من خلال تقديم (من تحتهم) على (الأنهار).

ب-قال تعالى ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ))[٢٩] .

تضمن النص القرآني خطاباً موجّهاً الى النبي محمد(ص) بأسلوب الأمر (قلْ) كي يوجّه هذا الخطاب الى المكذبين المستعجلين بالعذاب وتصدر الكلام الموجّه (أرأيتم ..) بمعنى ((أي أعلمتم ..))[٣٠].

بعدها ذكرت العذاب وقد تضمن النص كذلك الطباق بين (بياتاً) ليلاً وبين (نهاراً) في إشارة إلى صيغة وقوع عذاب الله عليهم في كل وقت .

بعدها جاء الاستفهام و((معناه التقطيع والتهويل ، كما يقول الانسان لمن هو في أمر يستوخم عاقبته: ماذا تجني على نفسك. وهذا جواب لقولهم " متى هذا الوعد))[٣١] التي وردت في الآية المتقدمة من هذه الآية [٣٢] .

وختمت الآية بموضع التقديم وقد تقدّم الجار والمجرور (منه) على الفاعل (المجرمون) .

والسبب في هذا أن الآية في سياق نصها كانت تركّز على الشيء الذي استعجلوا به بقولهم (متى هذا الوعد)(في الآية ٤٨) ثم أخرت المجرمين وقد سبب ما تسألوا عنه وهو العذاب.

وقد اثرّ التقديم والـتأخير في سياق نص الآية بدليل أن مجيء العذاب ليلاً ونهاراً والاستفهام عن (ماذا ...) كله من أجل بيان استعجالهم لأبياتهم لذلك قدّم النص (منه) على (المجرمون).

جـ-قال تعالى ((فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ))[٣٣]

تشير الآية الى قصة فرعون مع السحرة من جهة ومع موسى من جهة أخرى فعندما جمع السحرة فرعون وعند مجيئهم جاء موضع التقديم بتقديم الجار والمجرور (لهم) على الفاعل (موسى) والسبب العناية والاهتمام بمن استخدمهم فرعون كأداة للتغلب على موسى لذلك حاججهم موسى بالقول المقرون بالمعجزة لذلك قدمت الآية (لهم) وأخرت موسى لأن موسى كان معروفاً والحجاج والواقعة لم تكن لتقع ما لم يكن موسى موجوداً ومعروفاً .

ووجّه موسى لهم امراً بإلقاء ما كانوا يسحرون به الناس، فالآية كانت من أجل الإلقاء وبيان صدق موسى وتغلبه على فرعون وقومه لذلك أثّر التقديم والتأخير في هذه الآية من خلال تقديم (لهم) التي تدل على سحرة قوم فرعون من أجل إثبات التفوق عليهم في نهاية النص.

وقد فصل بين جملة (قال...) وجملة(القوا)؛ لأن الأولى خبرية والثانية إنشائية (اسلوب الأمر) .

والدليل على العناية بـ(لهم) على الفاعل (موسى) عندما انتهى الإلقاء جاءت الآية اللاحقة دون الجار والمجرور بقوله تعالى : ((فلما القوا قال موسى ...))[٣٤].

نلحظ مما تقدم أن تأخير الفاعل بعد الجار والمجرور كان من أجل العناية والاهتمام بالمقدم فضلاً عن تخصيص المؤخّر بالمقدّم وقد أثّر كل ذلك في دلالة النصوص التي وردت بها هذه المواضع.

فضلاً عن ذلك هنالك مواضع أخرى يمكن ملاحظتها في سورة يونس المباركة[٣٥] .

٤-تقديم الجار والمجرور على الجار والمجرور في الجمل الفعلية .

أ-قال تعالى: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأرض مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ))[٣٦].

تتكلم الآية في سياق الآية المتقدمة التي تتحدث عن عذاب الكافرين قبل أمة محمد (ص) [٣٧].

جاء موضع التقديم في هذه الآية في جملة جعلناكم التي تشير إلى أمة محمد(ص) كما ذكرنا والموضع هو تقديم (في الأرض) على (من بعدهم) اي ان الله استخلف أمة محمد في الأرض من بعدهم أي بعد الكافرين والمعاندين والسبب في هذا التقديم هو رعاية الأهمية في المعنى فالتركيز هنا على مكان الاستخلاف في الأرض لا على القوم؛ لأن الأقوام تتبدل وتتغير لكن الأرض هي الثابتة فحجة المكان الثابتة أقوى من حجة البشر المتغيرة.

فضلا عن ذلك فإن موضع التقديم جاء في جملة السبب والسبب يحتاج إلى نتيجة لذلك يؤثر في سياق النص لذلك وجدناه قد فُصِل عن الجملة اللاحقة جملة النتيجة (لننظر) وقد فصل بين الجملتين؛ لأن بينهما شبه كمال الاتصال (تقدير سؤال وجواب).

وهنالك موضوع آخر في هذه الآية وهو تقديم المنصوب (الاستفهام –كيف- على الفعل والفاعل (تعملون) إذ يقول الزمخشري: ((لننظر) أتعملون خيراً ام شراً فنعاملكم على حسب عملكم. و _(كيف) في محل النصب بتعملون لا بننظر ، لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله))[٣٨] .

نلحظ مما تقدم أن التقديم الثاني جاء باسم الاستفهام (كيف) وهو من الأسماء التي لها الصدارة في الجمل فهي تتقدم على عاملها فضلاً عن أن النص كان يقصد الاستفهام بعد للنظر كي يرى الله ماذا يعملون بعد أن استخلفهم في الأرض من بعدهم.

من خلال ما تقدم نرى أن موضعي التقديم قد اظهرا معنى النص في أبهى صورة من خلال التركيز على مكان الاستخلاف في الأرض (في تقديم الجار والمجرور على الجار والمجرور) وكذلك السؤال عن طبيعة العمل في الاستخلاف من خلال (تقديم اسم الاستفهام على عامله).

ب-قال تعالى : ((وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))[٣٩].

وردت هذه الآية (٨٦)من سورة يونس بعد الآيتين (٨٤، ٨٥) من السورة التي كانت تنقل الحوار بين موسى ومن آمن معه عندما وجد منهم الثبات في التوكل على الله والدعاء من أجل ثبات هذا الإيمان وقد نقلنا هاتين الايتين في الموضع الثاني تقديم (الجار والمجرور على الفعل والفاعل).

وتأتي هذه الآية الثالثة (٨٦) موصولة بما قبلها بدعاء أصحاب موسى بالأمر الموجّه من الأدنى إلى الأعلى أي منهم الى الله وموضع التقديم (الجار والمجرور) (برحمتك) على الجار والمجرور (من القوم الكافرين).

فالسبب في هذا التقديم هو العناية بمن يكتب النجاة من الظالمين عن طريق رحمته وقد قدمت على (من القوم الظالمين) فالدعاء الذي تضمنه أسلوب الأمر يركزّ على رحمة الله أكثر لأنها الوسيلة للتخلص من القوم الكافرين فمن خلال رحمة الله طلبوا النجاة من القوم الكافرين.

نلحظ مما تقدم أن هذا التقديم وسابقيه قد ربطا النص ربطاً عضوياً معنوياً متماسكاً من خلال (فعليه توكلوا) في الآية (٨٤) التي فصلناها كما ذكرنا، (وعلى الله توكلنا) في الآية (٨٥) التي فصلناها كما ذكرنا، وكذلك هنا (برحمتك) على (من القوم) .

كل هذا النص هدفه تخصيص التوكل على الله وعليه فضلاً عن أهمية النجاة من خلال الرحمة من الله على القوم الكافرين .

وفي ختام هذا المبحث نقول هنالك مواضع أخرى ورد فيها تقديم وتأخير في الجمل الفعلية ولم يخرج عن العناية والاهتمام والتخصيص ويمكن ملاحظة هذه المواضع في سورة يونس المباركة [٤٠].

المبحث الثاني

((التقديم والتأخير في الجمل الاسمية))

كثر التقديم والتأخير في الجمل الاسمية من سورة يونس في مواضع عديدة منها :

١-تقديم الجار والمجرور في جملة المبتدأ والخبر (أو ما اصلها مبتدأ وخبر).

أ-قال تعالى : ((أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمنوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ))[٤١] .

تصدرت الآية باستفهام إنكار ينكر فيه الله تعالى إنكار عجب اهل مكة بأن الله لم يجد رسولاً إلّا يتيم أبي طالب وهذا ليس بحاجة إلى عجب لذلك انكره الله عليهم لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلّا بشرا مثلهم [٤٢] .

بعدها بيّنت الآية القرآنية مهمة النبي بفعلي أمر (أنذِر) و (بَشّر) فالإنذار في الأمور التي يجب ترك الصور السابقة والسير على ما رسمه الدين الإسلامي والتبشير هو جزاء الإيمان وقد وصل بين جملتي الأمر لارتباطهما في فعلي الكلام (أمر -أمر) الانشاء.

بعد ذلك جاء موضع التقديم والتأخير في سياق تبشير (الذين آمنوا) بجملة (أنَّ لهم قدم صدق عند ربهم) وقد تقدم الجار والمجرور (خبر أنّ) على اسمها (قدَمَ صدقٍ) .

يقول الزمخشري في تسمية السابقة بقدم ((لما كان السعي والسبق بالقدم، سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً، كما سميت المنفعة يداً لأنها تعطى باليد... فقيل : لفلان قدم في الخير. وإضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة)) [٤٣] .

ويقول الطبرسي إن القدم ((اسم للحسنى من العبد، واليد اسم للحسنى من السيد، للفرق بين السيد والعبد.

وقيل ان معنى قدم صدق:شفاعة محمد (ص) لهم يوم القيامة))[٤٤] .

والسبب في تقديم (لهم) هو العناية والتخصيص بمعنى (قدم صدق) مختصة بـ (لهم) ؛ لأن النص كان في سياق الكلام عن تبشير المؤمنين فخصص قدم صدق لهم وكذلك اعتنى بهم من خلال تقديم (لهم) على قدم صدق.

وختمت الآية باتهام الكافرين للنبي بانه ساحر مبين.

من خلال ما تقدم نقول: إن جملة التقديم والتأخير كانت بمثابة البؤرة المهيمنة على الآية القرآنية فالآية بدأت بإنكار الله سبحانه وتعالى لتعجب الكافرين من إرسال محمد وهو يتيم ثم نقلت مهمة محمد (ص) المتمثلة بالإنذار والتبشير ثم بيّنت مصداق التبشير وهو ما تضمنه التقديم والتأخير (أن لهم قدم صدق عند ربهم) ثم اختتمت بقول الكافرين بأن النبي هو ساحر مبين .

فالبؤرة هي في تقديم (لهم) على (قدم صدق)؛ لأن الآية كانت في سياق ابراز جزاء المؤمنين في ظل العجب من الكافرين ببعثة النبي وإنكار الله سبحانه وتعالى لعجبهم فضلاً عن اتهامهم للنبي بانه ساحر مجنون .

ب- قال تعالى ((لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[٤٥] .

جاء النص ليرسم مقابلة بين أصحاب الجنة ومصيرهم وأصحاب النار ومصيرهم.

فقد وصف أصحاب الجنة بأن ستكون لهم الحالة الحسنى وقيل الزيادة هي المضاعفة في الثواب أو النعم في الدنيا او ما يأتيهم في كل وقت من فضل من الله [٤٦] ووصف وجوهم بـ ((لا يلحق وجوهم سواد .. وقيل غبار ولا ذلّة اي هوان وقيل كآبة وكسوف))[٤٧] .

ثم جاء موضع التقديم والتأخير للمؤمنين من خلال جزائهم (اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فقد قدّم (فيها) خبر مقدم على (خالدون) مبتدأ مؤخّر وممكن ان تكون (هم) مبتدأ (خالدون) خبر، و(فيها) جار ومجرور مقدم على الخبر.

والسبب في هذا التقديم هو العناية والاهتمام بالجنة التي تمثّل جزاء الإيمان (فيها) فضلاً عن قصر (خالدون) على (فيها) في اشارة الى خلود المؤمنين ((للذين أحسنوا الحسنى ...)) في الجنة فحجة الجنة اهم من حجة الخلود فالمهم هو جزاء الإيمان الجنة وحصول المؤمنين كلهم بعد ذلك من خلال التقديم قصر الخلود على الجنة.

وبعد ذلك جاءت الآية الأخرى لتذكر مقابل المؤمنين أصحاب النار الذين كسبوا السيئات .

فالذين اكتسبوا بمعنى ارتكبوا و ((جزاء سيئة بمثلها اي لهم بمثلها،يعني يجزون بمثل أعمالهم أي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تفضل يحسن)) [٤٨] .

ترهقهم ذلة بمعنى الهوان؛ لأن العقاب يقترن بالاهانة وغيرها من الاذلال [٤٩]، بعد ذلك يشبّه وجوههم كأنها اصبحت مظلمة بقطع من الليل ((أي كأنما ألبست وجوههم ظلمة الليل المراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة)الزمر :٦٠))[٥٠] .

بعد ذلك جاء موضع التقديم والتأخير لأصحاب النار من خلال جزاء اكتسابهم للسيئات (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) فقد قدّم (فيها) خبر مقدم على (خالدون) مبتدأ مؤخر وممكن ان تكون (هم) مبتدأ و (خالدون) خبر، و (فيها) جار ومجرور مقدم على الخبر.

والسبب في هذا التقديم نفسه ما كان في موضع أصحاب الجنة وهو العناية والاهتمام بالنار التي تمثل جزاء الكفر والعناد وفعل السيئات (فيها) فضلاً عن قصر (خالدون) على (فيها) في إشارة إلى خلود أصحاب النار في النار، فحجة النار اهم واعظم من حجة الخلود فالمهم هو جزاء كسب السيئات النار وبعد حصولهم على النار بعد ذلك يقصر خلود أصحاب السيئات على النار.

من خلال ما تقدم نقول: إن جملتي التقديم جاءتا على وزن واحد فضلاً عن ان الجملتين كانتا بمثابة نتيجة للحالين حال اصحاب الحسنات وحال اصحاب السيئات.

وقد لعبتا بشكل مباشر من خلال التقديم فيهما بحصر الخلود في الجنة لأصحاب الحسنات وفي النار لأصحاب السيئات.

وقد ساهم التقابل في السبب والنتيجة للمؤمنين والسبب والنتيجة لأصحاب السيئات في إبراز أهمية النص وقد اجتمع هذا التقابل من جملتي التقديم والتأخير المتقابلتين كذلك في إخراج معنى النص في أبهى صورة .

جـ-قال تعالى ((لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[٥١] .

وردت هذه الآية في سياق مدح المؤمنين وبيان عدم خوفهم؛ لأنهم قد آمنوا بالله.

ودليل هذا الآيتان السابقتان قوله تعالى ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمنوا وَكَانُواْ يَتَّقُونَ))[٥٢].

ورد موضع التقديم في بداية الآية (٦٤) المذكورة بموضع (لهم البشرى) بتقديم الجار والمجرور على المرفوع المبتدأ المؤخّر وجملة (لهم البشرى) كلها خبر متعلق بجملة الذين آمنوا.

يقول الطبرسي في هذا السياق((الذين آمنوا يحتمل موضعه ثلاثة اوجه من الإعراب : الأول: النصب على أنه صفة أولياء. والثاني : الرفع على المدح . والثالث : الرفع على الابتداء، وخبره لهم البشرى))[٥٣] .

وقيل في البشرى تبشير الله تعالى لهم بالقرآن كما تقدم في سورة يونس الآية (٢) (قدم صدق).

وقد بحثت هذه الآية في صدارة هذا المبحث وقيل بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم وقيل هي الرؤيا الصالحة في الدنيا [٥٤] ،وكلمات الله لا تبديل لها ((أي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب))[٥٥] .

من كل ما تقدم نرى أن موضع التقديم (لهم البشرى) قد رسم المعنى المراد من هذه الآية والآيتين السابقتين وأثر فيه وذلك لأنه قد خصص البشرى بكل معانيها التي ذكرها المفسرون لهم (أي للمؤمنين) وهنا عناية واهتمام بالمؤمنين فقدمهم على مالهم وهي (البشارة).

ولو تأخرت (لهم) لأصبحت البشارة لهم وممكن أن تكون لغيرهم من خلال العطف عليهم وهذه ما لا يقصده النص بآياته الثلاث.

وهنالك مواضع أخرى قد اثر بها التقديم والتأخير على هذه الطريقة في الجمل الاسمية يمكن ملاحظتها في موضعها من السورة المباركة [٥٦] .

٢-التقديم والتأخير في الجمل التي قُصرت بها الصفات على الله .

هذه النقطة وإن كانت معظم شواهدها تدخل في المبتدأ والخبر لكننا فصلناها؛ لأنها كانت مخصوصة بقصر صفات الله على الله من خلال تقديم المقصور عليه وتأخير المقصور .

وقد وردت في مواضع عديدة منها:

أ-قال تعالى ((أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))[٥٧] .

تصف الآية الكريمة عائدية كل ما في السماوات والأرض لله فضلاً عن ذلك ان وعد الله حق وثابت وإن كان اكثر الناس لا يعلمون.

نلحظ التقديم والتأخير في جملة " إنّ لله ما في السموات والأرض" فقد تقدّم خبر إنّ " لله" على اسمها (ما) الموصولة في عبارة (ما في السموات والأرض) وقد بني التقديم والتأخير على القصر المعنوي القائم على قصر الصفة المتأخرة " ما في السماوات والأرض" على الموصوف المتقدم " لله" والتقديم والقصر هنا من أجل التخصيص تخصيص عائدية ما في السماوات والأرض لله دون غيره فحجة المقصور عليه المقدم أقوى من حجة المقصور عليه المؤخّر.

وقد انسجم هذا التقديم مع معنى الآية العام القائم على عائدية ما في السماوات والأرض لله وعندما يعود كل شيء له فإن وعده هو الحق ((باحلال العقاب بالمجرمين " حقّ ولكن أكثرهم لا يعلمون" صحة ذلك لجهلهم به تعالى ، وبصحة ما أتى به النبي (ص))) [٥٨] .

ب-قال تعالى ((أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأرض وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ))[٥٩] . تصف هذه الآية عائدية من في السموات ومن في الأرض لله وهنا ((يعني العقلاء، وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم)) [٦٠] .

تضمنت الآية كذلك دعوة الشركاء من دون الله ووصفت دعوتهم بالظن ((لتقليدهم أسلافهم في ذلك، او لشبهة دخلت عليهم بأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى))[٦١] ثم تمت وصف دعواهم بـ (إن هم إلّا يخرصون) اي ((ليسوا الا كذابين بهذا الاعتقاد والقول))[٦٢] .

نلحظ من كل ما تقدم أَن الآية قد وصفت عائدية العقلاء الذين في السموات والأرض لله وكذلك ابطلت ادعاءات المبطلين.

وجاءت جملة التقديم والتأخير متصدرة للآية من خلال تقديم (لله) خبر إن المقدم على اسمها المؤخر (من) في عبارة (من في السماوات) وكذلك المعطوف على الخبر (من في الأرض) وممكن أن تكون جملة (من في الأرض) مقدرة بحذف أنّ وخبرها والتقرير (إن لله من في السماوات وإنّ لله من في الأرض).

فقد قصرت الصفة المتأخرة (من في السماوات) على الموصوف المتقدم (لله) وكذلك قصرت الصفة المتأخرة (من في الأرض) على الموصوف المتقدم (لله) سواء أكان الأصل كما في الجملة أم المحذوف المقدّر كما ذكرنا.

والقصر هنا كله للتخصيص بمعنى لتخصيص عائدية العقلاء لله وحده دون غيره وحجة التقديم أقوى من التأخير؛ لأن تقديم المقصور عليه يقصر المقصور على المقصور عليه فقط دون غيره فهنا العائدية (الصفة) المتأخرة قصرت على الموصوف (لله) وهو المقصور عليه المُقدم.

وقد أثر هذا التقديم في سياق النص العام للآية فمن خلال هذا التقديم وهذا القصر على الله فندت دعواهم الباطلة بالشركاء وقد عزز هذا القصر في الآية ذاتها من خلال استعمال النص للقصر بالأدوات لرد تلك الدعوات، والقصر الأول هو (إن يتبعون إلّا الظن) فقد قصر صفة الاتباع على الموصوف (الظن) فحصر اتباعهم بالظن القائم على أسلافهم كما ذكرنا .

وكذلك قصرهم (هم) الموصوف على (يخرصون) الصفة في جملة (إن هم إلّا يخرصون) اي يكذبون فقد قصر تفكيرهم ووجودهم ودعواتهم على الكذب.

من خلال ما تقدم نقول: إن النص القرآني قائم هنا على القصر وقد تضمنت الآية ثلاثة مواضع الأول بلا أداة والثاني والثالث بأدوات والأول اجتمع معه التقديم والتأخير من أجل رعاية التخصيص لله وحده بأن من في السموات ومن في الأرض لله .

والقصر الأول القائم على التقديم والتأخير هو الاهم؛ لأنه أثبت عائدية كل العقلاء لله وهذا يعني إن اشركوا او لم يشركوا فعائديتهم لله لذلك ساهمت جملة التقديم والتأخير المبينة على القصر في إبراز معنى الآية في أبهى صورة وكانت مفتاحاً لتكملة النص الذي تضمن اتباعهم للظن .

جـ-قال تعالى ((قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأرض إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))[٦٣]

تصدرت الآية ادعاء البعض باتخاذ الله الولد فقوله ((سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء))[٦٤] .

ثم جاءت جملة التقديم والتأخير (له ما في السموات وما في الأرض) بمعنى ((إذا كان ما في السموات والأرض ملكاً ومُلكا وخَلقا فهو غني عن اتخاذ الولد، لأن الانسان انما يتخذ الولد ليتقوّى به من ضعف، او ليستغني به من فقر)) [٦٥]

بعد ذلك نفى عنهم الحجة والبرهان عن دعواهم [٦٦]، ليختتم الآية بالاستفهام الإنكاري التوبيخي (أتقولون على الله ما لا تعلمون) ((هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك))[٦٧] بمعنى على ادعائهم الباطل باتخاذ الله ولدا بالرغم من علمهم بأن الله هو الغني فضلاً عن عدم وجود حجة أو برهان عندهم .

من كل ما تقدم نقول إنَّ جملة التقديم والتأخير (له ما في السموات وما في الأرض) قد قدّم بها الخبر (له) على المبتدأ المؤخر (ما) في عبارة (ما في السموات) وكذلك على المعطوف على المبتدأ (ما في الأرض) ويمكن أن تكون جملة (ما في الأرض) جملة خبرها المقدم محذوف والتقدير (له ما في السموات وله ما في الأرض).

فقد قصر (ما في السموات وما في الأرض) الصفة المتأخرة على (له) الموصوف المتقدم من أجل تخصيص ما في السموات وما في الأرض لله دون غيره فالعناية بالمقصور عليه المقدّم (له) اهم من الصفة المتأخرة (ما) في (ما في السماوات وما في الأرض)؛ لأن الصفة قد قصرت على الموصوف هنا وهذا الذي يريده النص من أجل تخصيص صفات الله به عزّ وجل دون غيره.

والتقديم والتأخير مع التخصيص قد اجتمعا ليثبتا معنى النص القائم على النفي والإنكار.

فبعد ان ادعوا اتخاذ الله الولد جاءت جملة التقديم والتأخير لتثبت ان الله لا حاجة له بالولد؛ لأن (ما في السموات وما في الأرض) له وحده بعدها نفت أن تكون لهم أي حجة واخيرا استفهمت عنهم استفهاماً انكارياً توبيخياً وذلك لقولهم وادعاءهم لشيء وهم يعلمون بغنى الله ومن دلائل غناه ما جاء في جملة التقديم والتأخير من حصر ما في السموات وما في الأرض له وحده دون غيره من خلال قصر الصفة المتأخرة على الموصوف المتقدّم .

هنالك مواضع أخرى لهذا المبحث يمكن ملاحظتها في السورة المباركة[٦٨].

الهوامش:

١-أساس البلاغة:٢/٢٣٤-٢٣٥، وينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم :١١
٢-ينظر : لسان العرب: مادة (قدّم) و (أخّر) ، ومعجم المصطلحات البلاغية :٢/٢٢٥
٣-دلائل الاعجاز:٨٣، وينظر:البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني):٢١٥
٤-ينظر:نهاية الإيجاز:١١٦، والإيضاح في علوم البلاغة :١٥٣-١٥٤،وفخر الدين الرازي بلاغياً:١٥٠، وينظر:معجم المصطلحات البلاغية:٢/٣٢٦،وينظر : البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني):٢١٥.
٥-البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني):٢١٥ .
٦-ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة:١٠٩-١٩٥، وتلخيص المفتاح:٨٥، ٩٠، والتبيان في علم البيان:١٠٥، ١٠٦، ١٤٢، ١٤٧-١٥٢، وأثر النحاة في البحث البلاغي:٥٨، ١٢٩، ١٣٧، ١٨١، ٢٩٨، والبلاغة عند السكاكي:٨٠، ٩٥، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم :١١-١٠٥،والبلاغة تطور وتاريخ: ١٠٤-١١٠، والمختصر في تاريخ البلاغة:٥٣-٧٢ .
٧-ينظر: نهاية الإيجاز: ١٢٦-١٣٠، والتبيان في علم البيان :١٤٧-١٤٩، والطراز:١/٥٦، ومعترك الأقران:١/١٧٤، ومعجم المصطلحات البلاغية:٢/٣٢٥-٣٢٦،وفخر الدين الرازي بلاغياً:١٥٠-١٥٤،وعلم المعاني (عتيق):١١٧-١٢٢ .
٨-ينظر:تلخيص المفتاح:٨٥-٨٦، والإيضاح:١٣٩-١٤٣، ١٤٩-١٥٠، والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)٢١٨-٢٣٥، ومعجم المصطلحات البلاغية:٢/٣٢٦-٣٢٧ .
٩-ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:١٩٣-١٩٤، والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني):٢٣٦-٢٤٠ .
١٠-ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة:٢٠٧-٢٠٨، والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ٢٤١-٢٤٥، ومعجم المصطلحات البلاغية:٢/٢٣٧-٢٣٨.
١١-يونس:١٦-١٧ .
١٢-مجمع البيان:م٥/٢٣٩ .
١٣-ينظر: مجمع البيان:م٥/٢٣٩، والتفسير الكبير:١٧/٥١ .
١٤-ينظر:الكشاف:م١/٤٧٥، ومجمع البيان:م٥/ ٢٣٩ .
١٥-يونس:٥٩ .
١٦-مجمع البيان:م٥/ ٢٩٣ .
١٧-الكشاف:م١/٤٨٣ .
١٨-يونس:٧١ .
١٩-ينظر : مجمع البيان:م٥/٣٠٥، والتفسير الكبير:١٧/١١٧-١١٨ .
٢٠-مجمع البيان:م٥/٣٠٥ .
٢١-ينظر : يونس:٢٩، ٦٠، ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٩٨ .
٢٢-يونس:٨٤-٨٥ .
٢٣-مجمع البيان:م٥/٣١٥ .
٢٤-مجمع البيان:م٥/٣١٦، والتفسير الكبير:١٧/١٢٥ .
٢٥-يونس:٩٣ .
٢٦-ينظر: يونس:٥٦ .
٢٧-يونس : ٩ .
٢٨-ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) : ١٦٩ .
٢٩-يونس: ٥٠ .
٣٠-مجمع البيان:م٥/٢٨٤ .
٣١-مجمع البيان: م٥/ ٢٨٤ .
٣٢-ينظر : يونس :٤٨ .
٣٣-يونس :٨٠ .
٣٤-يونس :٨١ .
٣٥-ينظر : يونس:٢٤، ٩٠ .
٣٦-يونس :١٤ .
٣٧-ينظر: يونس:١٣، والكشاف:م١/٤٧٣ .
٣٨-الكشاف:م١/٤٧٣ .

٣٩-يونس:٨٦ .
٤٠-ينظر : يونس:١١، ٢٩، ٣٦، ٤١، ٤٤، ٦١ .
٤١-يونس:٢ .
٤٢-ينظر:الكشاف:م١/٤٧٠، ومجمع البيان :م٥/٢١٨ .
٤٣-الكشاف:م١/٤٧٠ .
٤٤-مجمع البيان:م٥/٢١٩ .
٤٥-يونس:٢٦-٢٧ .
٤٦-ينظر : مجمع البيان:م٥/٢٥٦-٢٥٧ .
٤٧-مجمع البيان:م٥/٢٥٧ .
٤٨-مجمع البيان:م٥/٢٥٧ .
٤٩-ينظر : مجمع البيان:م٥/٢٥٧ .
٥٠-مجمع البيان: م٥/٢٥٧-٢٥٨ .
٥١-يونس:٦٤ .
٥٢-يونس:٦٢- ٦٣ .
٥٣-مجمع البيان:م٥/٢٩٥ .
٥٤-ينظر:مجمع البيان:م٥/٢٩٧-٢٩٨، والتفسير الكبير:١٧/ ١١١ .
٥٥-مجمع البيان:م٥/٢٩٨ .
٥٦-ينظر : يونس:٤، ٧، ١٠٢ .
٥٧-يونس :٥٥ .
٥٨-مجمع البيان:م٥/٢٨٧ .
٥٩-يونس :٦٦ .
٦٠-مجمع البيان:م٥/٣٠٠ .
٦١-مجمع البيان:م٥/٣٠٠، والتفسير الكبير:١١٣/١٧ .
٦٢-مجمع البيان:م٥/٣٠٠ .
٦٣- يونس :٦٨ .
٦٤-الكشاف:م١/٤٨٥ .
٦٥-مجمع البيان: م٥/٣٠٢، والتفسير الكبير: ١٧/ ١١٤ .
٦٦-ينظر : مجمع البيان:م٥/٣٠٢، والتفسير الكبير: ١١٥/١٧ .
٦٧-مجمع البيان:م٥/٣٠٢، التفسير الكبير :١١٥/١٧ .
٦٨-ينظر : يونس :٢٣، ٦٥ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١-أثر النحاة في البحث البلاغي،الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٠م.
٢-أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية ،ط١، ١٩٧٣م .
٣-الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقيح، د.محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩ .
٤-البلاغة تطور وتاريخ، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر،ط٦، (د.ت).
٥-البلاغة عند السكاكي، الدكتور أحمد مطلوب، مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٦٤م.
٦-البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس للطباعة والنشر، عمان-الاردن، ط١٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.
٧- البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس للطباعة والنشر، عمان- الاردن، ط١٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.
٨-التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزملكاني، تحقيق:د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.
٩-التفسير الكبير مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، لبنان ، ١٤٢٥هـ - ١٢٤٦هـ ، ٢٠٠٥م.
١٠-التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق - بغداد، ط١، ١٩٩٦م.
١١-تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، قرأه وكتب حواشيه وقدّم له: الدكتور ياسين الايوبي، المكتبة العصرية،بيروت – صيدا، ٢٠٠٨م ، ١٤٢٨هـ .
١٢-دلائل الاعجاز ،عبد القاهر الجرجاني، تحقيق:عبد المنعم خفاجي، الناشر مكتبة القاهرة سنة ١٩٧٦م ، ١٣٩٦ه .

١٣-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، القاهرة-مصر، ١٣٣٢هـ-١٩١٤م.
١٤-علم المعاني ، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار الافاق العربية، مصر، ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٠ م .
١٥-فخر الدين الرازي بلاغياً، ماهر مهدي هلال، منشروات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية، (د.ت) .
١٦-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، أبوالقاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٧-لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، قدّم له : الشيخ عبد الله العلايلي، اعداد : نديم مرعشلي، يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت-لبنان،(د.ت).
١٨-مجمع البيان في تفسير القرآن ، فضل بن حسن الطبرسي، قم – ايران، ط١، ١٤٢٦هـ. ق-١٣٨٤هـ .ش.
١٩-المختصر في تاريخ البلاغة، الدكتور عبد القادر حسين، دار الشروق ، القاهرة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٠-معترك الأقران في اعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة-مصر، ١٩٦٩-١٩٧٣م.
٢١-معجم المصطلحات البلاغية، الدكتور أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات ، بيروت –لبنان ،ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٢-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، مطبعة الاداب والمؤيد، القاهرة، ١٣١٧هـ .